

## دراسة لوضعية القبائل والملكية العقارية بمنطقة غليزان مع نهاية الفترة العثمانية بالجزائر

أ.ة : ليلي بلقاسم

جامعة وهران

تمهيد

تميز النظام التركي العثماني بالبساطة والقوة المطبقة بالخصوص على سكان الريف بسلطة قائمة أساسا على الأعراش والقبائل، فكانت الإدارة بيد ثلاث رؤساء هم: أغا الدواير وأغا الزمالة وخليفة الباي في الناحية الشرقية من منطقة غليزان، هذا الأخير الذي كان يدير المناطق الواقعة بين مازونة إلى غاية حدود بايلك التيطري، كما أن التقسيم الإداري هو الآخر قائم على نفوذ كل قبيلة<sup>1</sup>. ومع أواخر العهد التركي تمكنت قبائل المخزن<sup>2</sup> من بسط سيطرتها على الأراضي فمارست نوعا من الإقطاع معتمدة على الجهد العسكري لتدعيم مكانتها.

أولا: تقسيم القبائل خلال الفترة العثمانية

قسمت القبائل خلال الفترة التركية إلى:

أ-قبائل المخزن (Makhzen):هي مجموعات سكانية ذات صبغة فلاحية وعسكرية وإدارية تشكلت من عشائر أعلنت ولائها أو فرض عليها التزام الطاعة. "في خدمة الحكومة معفية من الضرائب تتمتع بمختلف الامتيازات تقدم المحاربين للسلطة التركية، قامت بدور شرطة البلاد (الأمن) كما أعطت المزارعين والحراس والمرافقين والرعاة ..."<sup>3</sup>. وبفضل

هذه ا لقوة المخزنية تمكن للظلام التركي من حماية نفسه من القبائل الجبلية والصحراوية، وبفضلها أيضا تمكن من الاستيلاء على الأراضي الخصبة الواسعة؛ تركز أغلبها في السهول وفي المناطق الأكثر عرضة للخطر الأجنبي والثورات ( ثورة درقاوة ) لهذا عملت الحكومة التركية على تثبيت المخزن في هذه المناطق لأغراض عسكرية واقتصادية وإستراتيجية ويمكن تصنيفها إلى :

#### - القبائل المتخفية المـ حاربة

كقبائل مازونة<sup>4</sup> (أهمها بوعلوقة وأولاد مزيان)<sup>5</sup>، بني خذو (الغمري وسيدي سعادة) وسجراة بـ 50 فارس، عكرمة الغرابة شاركت بـ 100 فارس والتي شملت مواطنيها أسفل "واد يلل" وهي مقسمة إلى مجموعتين عكرمة الغرابة "القواليز" و"غربوسة" والتي سكنت شرق "تيلوينات"، إلى جانب قبيلة الصحاري حيث ساهمت بـ 50 فارس واستقرت على الضفة اليسرى "لواد مينا" عند التقاء هذا الأخير "بواد يلل" والذي يخترق أراضيها -تحتوي إقليم أكثر خصوبة يتربع على مساحة مروية<sup>6</sup> - ودواير فليتا توفر 25 فارس، "فليتا بوعلي" بـ 6 فرسان، وأولاد سلامة بالظهرة 100 فارساً<sup>7</sup> إلى جانب قبائل لمحال المكلفة بتوفير 50 فارس مسلح للبايلك، ولم يكن مسموحا لها بركوب الخيل إلا في حالة مرافقة الباي<sup>8</sup>.

#### - القبائل المخزنية المنشغلة بالفلاحة وتربية الخيول غير المسلحة

عملت على تقديم العمال المساعدين "كخامسين" أو لحراسة مطامير البايلك .. كقبيلة أولاد صابر حيث مكّنت بتزويد قبائل المخزن والجيش بالخيول، وقبيلة المكاحلية ساهمت بـ 200 فارساً وأولاد أحمد

( عكرمة الشراقة ) وفرت 50 فارس للبايلك وهي التي استقرت على الضفة اليسرى لوادي الشلف بالقرب من البحيرة المالحة.

#### ب- القبائل الرعية أو القبائل الخاضعة

تخضع هذه القبائل لسلطة البايلك ولمراقبة القبائل المخزنية والحاميات التركية، ملزمة بدفع الضرائب بين أيدي الخليفة سواء النقدية منها والعينية على المنتجات المتعلقة بالأرض، يقع أغلبها على الطريق السلطاني مما جعلها عرضة للهجمات العسكرية والجباية بالخصوص حيث تشغل الأراضي الخصبة داخل منطقتي "مينا" و"الشلف" إذ شملت القبائل التالية: أولاد شافع بناحية يلل، بوعبسة وكنفدرالية فليتا التي صفت ابتداءً من سنة 1808 م كقبائل رعية جراء مشاركتها في ثورة درقاوة الذي أشرف عليها قايد تركي اتخذ مقره محمية زمورة وتشكلت من أربعة أعراش، العناترة، فليتا لمحال (عرب الفتح)، شرفة أولاد سيدي علي بن يحيى (قدموا من المغرب الأقصى خلال القرن 12م)، الحرارثة (مرابطين نسبة إلى الولي محمد بن عيسى الحراني جاء إلى البلاد في القرن 15م). وبدورها تتشكّل هذه القبائل من أعراش فليتا لمحال المكونة من 11 قبيلة وعرش: الحساسنة (يلل)، أولاد سويد (زمورة) استقرت القبيلة بثلاث أميال عن مينا على الضفة اليمنى تسيطر على جميع أنحاء البلاد الممتدة بين واد مينا وواد "المناصفة" إلى جانب "بني درقن"، أولاد رافع، أولاد يحيى (أولاد زيد – الحباشة)، بني يسعد على الضفة اليمنى لواد "المناصفة"، بني لوما مشكلة من ثلاث أعراش تسكن القبيلة واد جديوية، أولاد راشد المستقرين إلى الغرب من واد المناصفة في عين السمار إلى جانب أولاد بركات شرق المناصفة، أولاد بلجي، أولاد عمار على حواف واد "المناصفة"<sup>9</sup>، لما قبيلة فليتا الحرارثة<sup>10</sup> فضمت كلا من أولاد سيدي

يايا بن أحمد وأولاد سيدي يايا (دار بن عبد الله) وأولاد سيدي أحمد بن محمد وأولاد سيدي لزرق (زمورة) وأولاد سيدي الشولي وشرفة العمامرة (العمامرة زمورة). إلى جانب عرش أولاد خويدم؛ هذا الأخير الذي شملت مواطنه الضفة اليسرى لشلف حيث تخترق أراضيها الفيضية الخصبة وادي جديوية وواد رهيو، وعرش أولاد العباس والذي تتواجد أراضيها بين نصفي الضفة اليمنى واليسرى لواد شلف<sup>11</sup>، إلى جانب قبيلة بني زروال. أما في منطقة الظهر فشمّلت مديونة المشكّة من سبعة أعراش والتي هيمنت على الظهر في شمال شرق "بني زروال"<sup>12</sup> إلى جانب قبيلة "أولاد معا الله" المؤلفة من 17 عرش، ومزيلة المتكونة من 10 أعراش، وتازقايت (05 أعراش) وبني زنطيس من (12 عرش) وأولاد خلوف الجبال والسواحلية إلى جانب أولاد سيدي إبراهيم وأولاد سلامة.

ج- القبائل شبه المستقلة وهم الأحلاف وهي المتعاملة مباشرة مع الأتراك العثمانيين انطلاقاً من بعدها الروحي والديني كقبيلة أولاد سيدي بوعبد الله<sup>13</sup> باعتبارها عائلات مرابطية لعبت دور الوسيط بين السكان والأتراك وحل النزاعات القبلية استمدت شرعيتها ونفوذها من نسبها الشريف، وممارساتها المتميزة بالورع والتقوى وهو ما مكن الشريف أن يلعب دوراً قيادياً وروحياً وسط السكان تجاوز في الكثير من الأحيان كل الرهانات؛ وفي نهاية الأمر يتم تسليم أفراد القبيلة له لما يحظى به من وقار واحترام وتبجيل يصل عند البعض إلى حد التقديس رغبة في البركة. وهناك قبائل بني مسلم بعبي موسى (الونشريس الغربي) والمشكّة من ثلاث أعراش (عرش أولاد بورياح أولاد ايعيش وشكالة<sup>14</sup>) وهي التي تخضع لسلطة الباي ومعنية بأداء "مجموع من الالتزامات المباشرة للباي-1.000 دورو تدفع في فصل

الربيع و5.000 دورو في فصل الخريف"<sup>15</sup> وهذا جراء مشاركتها في ثورة لمحال حيث أعفيت في فترة الباي محمد الكبير 1765-1769 وصنفت كقبائل متحالفة نظير مشاركتها في الجهاد ضد الاسبان في الفتح الثاني لوهرا ن سنة 1792 م، وهي مسخرة أيضا في خدمة قادتها المحليين؛ تشكل هذه القبائل شبه دويلات صغيرة وهي معفية من أداء الضريبة. غير أنها لا تتوانى في تقديم الخدمات للحكومة التركية. وقد برزت داخلها عائلة سي الشادلي باعتبارها عائلة مرابطية. وتعتبر زاوية سيدي امحمد بن عودة<sup>16</sup> أيضا كأهم حليف، فحظيت بمكانة مرموقة لدى السلطة التركية للدور الجهادي والتعليمي والروحي للولي الصالح سيدي محمد بن عودة، ولمشاركة قبائل فليتا التي ترعى الزاوية من جهة والمشاركة في الجهاد إلى جانب الأتراك ضد الأسبانولهدا اعتبرت السلطة التركية: "أراضيها كأراض معفية من الضرائب تترع على مساحة 2.000 هكتار"<sup>17</sup>.

د-القبائل المستقلة أول ،متنعة : هي تلك الجماعات المستقلة " لا تدفع الضرائب للأتراك والتي سمح لها بحق الم ،تاجرة في الملى والساحل وجميع العطايا والصدقات الدينية "<sup>18</sup> تنتشر معظم مواطنها في الونشريس الغربي ذات أصول زناتية بربرية كقبيلة بني وراغ المشكلة من مجموعتي "بني وراغ أولاد محمد" و"بني وراغ أولاد عصام" أهمها ماريوة أولاد دفلتن .. والكنفدراليات التالية: مكناسة ومطماطة بني تغرين والكرايش وحلوية، والمعاصم...الخ .

#### ثانيا- أنواع الملكية بالمنطقة

تنوعت الملكية العقارية<sup>19</sup> خلال الفترة التي سبقت الاحتلال الفرنسي بين أراضي "الملك" و"العرش" و"البايك" و"الجبوس" في

المنطقة موضوع الدراسة في ظل غياب إحصائيات دقيقة تشير إلى حجمها.

فقد تركزت الملكية الخاصة بين أيدي بعض العائلات المرابطية كأولاد سيدي بوعبد الله وقد شمل إقليمهم كل السهل تقريبا من "جديوية" غربا إلى "زبوجة" الوسط شرقا ومن الجبال جنوبا إلى الشلف شمالا (أولاد سيدي العربي<sup>20</sup>) والتي "امتدت ملكيتهم إلى غاية الشلف وكانوا من أبرز حلفاء السلطة التركية إلى غاية التل من مستغانم أين مارسوا تأثيرا مشابها لدواير والزماله في القطاع الوهراني<sup>21</sup>".

اعترفت الحكومة التركية لهم بملكية الأراضي باعتبارها امتيازات أميرية لأسرة نبيلة، وما يؤكد ذلك تلك العقود التي أظهرها "سي لعربي" للإدارة الاستعمارية الفرنسية والتي تبين من خلالها أن البايات العثمانيين تنازلوا لأفراد العائلة مع الحصانة الكاملة والامتيازات الشرفية لتلك الأراضي والتي تشمل إقليم سيدي بوعبد الله على الضفة اليمنى لواد الشلف بين "واد التاغية" في الغرب و"بني زنطيس" في الشمال و"واد قرواو" في الشرق وواد الشلف في الجنوب بمساحة تقدر بـ 2.704 هكتار بصفتهم أولياء مبعجلين ذوي تأثير ديني كبير<sup>22</sup>.

لعبت العائلة دورا قياديا واجتماعيا واقتصاديا ودينيا وسياسيا في المجتمع الريفي بالمنطقة بين "مينا" و"شلف" عرفت بالثراء، وباعتبارها عائلة ارستقراطية دينية (Aristocratie Religieuse) تنتمي إلى الطريقة البوعبدلية التابعة للطريقة الصوفية الشاذلية الدرقاوية؛ استقطبت العديد من قبائل المنطقة وتحالفت مع النظام التركي مما أوى إلى نماء رأسمالها المادي وزيادة نفوذها الروحي إذ اندرجت مهامها في تحصيل العشور ومختلف الرسوم الدينية وتفعيل دور السلطة التركية.

يتميز هذا النوع من الملكية هو التداخل بين حالة الملاك والشيوع، ذلك أن الأراضي المندرجة في ملكية عائلة سي العربي مثلاً استغلت بطريقة جماعية، مما سمح للعديد من الأفراد بالعيش في كنف الزاوية، وما يمكن التأكيد عليه هنا أن الأرض "تبقى مشاعة داخل عشائر المخزن بين أفرادها وفي حالة وفاة المالك باستغلال الأرض، ينتقل حق الانتفاع والاستغلال إلى أكبر الأبناء نظير بقائه على تأدية مهامه العسكرية والحربية اتجاه البايك"<sup>23</sup>.

وعليه فلن العثمانيين عملوا على مساندة وتأييد هذه العائلات لدورها في دعم النظام التركي وحمايته ولمساهمتها في "جمع المغارم" وتأمين الطريق السلطاني بالمنطقة وقمع حركات التمرد، باعتبارها سند للحكومة التركية ويحصل في المقابل دعم هذه العائلات المخزنية من خلال الامتيازات العقارية على شكل أراضي عرفت "بالمشاتي" وهي ذات جودة وخصوبة. وهذا ما نقرأه في صيغة عقود الحكومة التركية حيث نلمس عبارات التبجيل والتقدير لهذه العائلة ومجموع من السخايا والامتيازات والترقيات التي حظيت بها عائلة "سي لعربي".

وما يجب الإشارة إليه في هذا الموضوع أن العديد من هذه العائلات المخزنية في أواخر العهد العثماني تملك أراضي واسعة وبعقود خاصة من البايك ذاته "وكان ذلك بسبب تناقص المبالغ المالية للباييك. وبذلك استولت القبائل المخزنية على الأراضي الشاسعة وتملكها وتتصرف فيها بيعاً وشراءً، وهو ما أدى بالكثير من الباحثين إلى وصف وإصباغ عشائر المخزن في أواخر العهد العثماني بصبغة الإقطاعية"<sup>24</sup>. كما منحت الحكومة التركية دواير فليتا -التي يمتد إقليمها من عكرمة الغرابة والمكاحلية والحساسنة شمالاً إلى أولاد بوعلي غرباً والعناترة

وحبوشة جنوبا إلى القلعة شرقا - أراضي في شكل امتيازات شملت مواطنها "حوض مينا" فتمتعت القبيلة بحصانة وحماية وأمن السلطة التركية حيث ساهمت في تحصيل الضرائب من السكان مما ساهم في ثراء الحكومة التركية<sup>25</sup> وتوسيع ميزانيتها.

و استفادت في المقابل هذه القبائل المخزنية من المنح والتجهيزات المجانية كالخيول والأسلحة والغنائم جراء مشاركتها في الحملات العسكرية، فقد نالت "قبيلة الصحاري" العديد من "الامتيازات الضريبية والعقارية في زمن الباي محمد الكبير وألحقت بأغاليك مخزن الدواير"<sup>26</sup>. وعلى الرغم من الوضعية التي حظيت بها هذه القبائل "فإنه بإمكان الحاكم استرجاع أراضي المخزن من أصحابها لأن حيازتها كانت مؤقتة"<sup>27</sup>. وهذا ما نجده من خلال معاينة العقود التي أظهرها الخليفة "سي لعريبي" للسلطات الفرنسية بلن الباي قد تنازل للعائلة عن تلك الأراضي في شكل انتفاع مجاني لجزء من قبيلة سيدي بوعبد الله وبصفتهم رجال دين ذي تأثير هام وبالتالي فإن الملكية ذات الطابع الديني ليس لها طابع دائم إذ يمكن إلغاؤها من طرف السلطة السيادية<sup>28</sup>.

هذا ما يفسر رغبة الإدارة التركية في أن تبقى هذه العائلات والقبائل المخزنية مرتبطة بالسلطة المركزية مكروسة لتلبية خدماتها مستمرة في دعمها للنظام التركي لكي يضمن استمرار بقائه، ذلك لأن الحاكم "هو الذي يحافظ على حق الملكية على هذه الأراضي حتى يطمئن لإخلاص وتعاون القبائل الخليفة له"<sup>29</sup>. لما في حالة تمرد أو عصيان فقد تتعرض هذه القبائل إلى الإبعاد وتجريدها من كل الامتيازات؛ وكمثال على ذلك تم تصنيف قبائل فليتا عام 1808م كقبائل رعية عقب مشاركتها في ثورة درقاوة مع إلزامها بدفع الضرائب.

لما عن أراضي الملكية الجماعية أو "السبيقة" فإنها شملت الأراضي الأكثر اتساعاً أين تهيمن الجبال، على عكس أراضي الملك التي اقتصر على المناطق الضيقة، فقد تركزت بالتحديد حول سهول "ميناء" إلى الغرب وإلى الشرق إلى غاية جديوية وإلى الشمال بسفوح الظهرة وفي الجنوب عند سفوح الونشريس أين ساد الطابع الرعوي في المرتفعات الجبلية واللال وفي المناطق السهبية وشبه السهبية حيث أراضي "فليتة" و"عكرمة". تميز هذا النوع من الملكية بارتباط الفرد بجماعته كشرط ضروري لاستمرار الحياة الجماعية شملت كل مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية بذلك الطابع الجماعي الذي يربط أفراد بروابط دينية واجتماعية وتحالفية إذ لا تخضع هذه الأراضي لعمليات البيع والقسمة أو الوراثة حيث وزعت على الفلاحين حسب القدرة وإمكانية الاستغلال.

قام الحكام الأتراك بمساعدة القبائل والعائلات المخزنية على استخلاص الضرائب من مستغلي هذه الأراضي في شكل ضريبة سنوية إلى جانب الرسوم الموسمية. وهذا لم يمنع من وجود أراضي الملك داخل هذه النوع من الملكية، فمن خلال التحقيقات التي قامت بها الإدارة الاستعمارية خلال الحقبة الكولونيالية الأولى لفحص سندات الملكية تبين للباحث ومن خلال تسليط الضوء على عرش أولاً خويدم<sup>30</sup> كنموذج مثلاً. أن العديد من أفراد القبيلة قلموا سندات اعتراف بالملكية، فمن ذلك الرسالة المؤرخة في سنة 1808م من طرف الباي مصطفى النبي أمر فيها العرش باحترام الأرض التي يشغلها سيدي محمد بن طاهر، كما يسجل من خلال الوثيقة ذاتها وجود أراضي تم اكتسابها من خلال عملية الشراء بين الجزائريين، إذ اشترى محمد بن خضرة بن عبد القوي من ولد قدور الشريف وأخويه

مساحة أرض في ذات العرش والمعروفة بـ "شعبة اللبية" بمبلغ 100 سلطانية ذهبية، وهناك عملية شراء من طرف قدور بن خضرة للإقليم المعروف "بوادي جديوية" من الباي محمد الكبير نفسه بـ 140 ذهبي. إلى جانب تلك الأراضي التي قدمت في شكل امتيازات- ومن النماذج الأخرى هناك رسالة الخليفة عثمان سنة 1791م الموجهة إلى عرش أولاد خويدي أمر فيها باحترام ملكية الأرض المقلمة لسي هني وأولاده<sup>31</sup>.

وهذا ما يؤكد الفكرة السابقة حول تسابق الحكام العثمانيين في تمليك الجزائريين بعقود رسمية أواخر عهدهم، رغبة في الحصول على تزايد المال لديهم.

وحسب الدراسة التي قام بها تانتوان (Thintoin) فقد شكلت أراضي الم - ملك في محيط منطقة "ميناء" أكثر من أربعة أخماس 5/4 في الظاهر في قبيلة عكرمة الغرابة بسهل "يلل" شكلي - ملك 3/2 من الإقليم .. وبالنسبة لقبيلة لمحال التي تملك وادي الجمعة لا يمثل الم - ملك هناك إلا 5/1، تحتل أراضي الرعي فيها مساحة 350 هكتار، في حين أن الأراضي الجماعية تمثل 5/4 وهي موزعة إلى حصص زراعية صغيرة بين السكان من طرف الجماعة القبلية إذ الحدود غير محددة ومحترمة. وفي إقليم "سيدي بن شاعة" يوجد ملكيات ثابتة منذ أمد طويل وهي قابلة للتوريث، منفصلة عن بعضها بسياج وخطوط حجرية أو جدران صغيرة ... وفي قبيلة عكرمة الشراقة يشكى الملك 1/5 مستأجر في غالبه من أفراد قبيلة المكاحلية. وما يلاحظ انتشار هذا النوع من الملكية في الأقاليم الجبلية خصوصا في إقليم أولاد سيدي بوعبد الله وبصورة مميزة بالنسبة لأولاد سيدي عمار وأولاد

عيشة حيث يتمتع كل فرد بحصة أرضية مقسمة ومحددة بعناية كاملة، يمكن التصرف فيها بالبيع أو الشراء أو نقلها بعميلة التوريث<sup>2</sup>.  
تجدر الإشارة في هذا الموضوع أن هذه المناطق الداخلية شهدت كثافة سكانية مقارنة بالمناطق الجبلية الرعوية الأقل سكانا. وهذا لوجود نشاط زراعي يخدم الحاجيات المحلية مع وفرة المياه؛ في حين بقيت المناطق غير المزروعة - البور - ممنوحة للعامّة تستخدم كمراعي للقطعان عرفت عند سكان المنطقة "ببلاد القاعة".

وعليه فإن النظام الغالب هنا هو تفوق الملكية الجماعية على الملكية الخاصة نظرا لأهميتها الاجتماعية والاقتصادية من حيث تعزيز الروابط القبلية وسد متطلبات السكان، وباعتبارها الأكثر اتساعا وشمولية للزراعة والرعي؛ فعلى سبيل المثال يمتلك بسهل غليزان بالمطمر "عرش الصحاري" أكثر الأراضي جماعية بـ 43% والمراعي بـ 42% وبعلقل - لك بـ 15%<sup>33</sup>.

تسجل أراضي الحبوس انتشارا واسعا بمنطقة غليزان بنوعه الخيري حول منطقة مينا والمطمر ويلل ومنطقة واد رهيو... بحيث لا يكاد عرش أو اقليم يخلو من هذا النوع؛ ومرد هذا الانتشار الواسع يرجع إلى نفوذ الطرقية عموما وتعمق الروح الدينية لدى سكان المنطقة، حيث نجدها "بعكرمة الشراقة" ممثلة في "خدام سيدي تزغات" (قبة سيدي عبد القادر الجيلالي) وحبوس "سيدي عمار بأولاد العباس" حيث تنتشر أضرحة الأولياء والمقابر وحول الزوايا. وبعرش أولاد سيدي بوعبد الله حيث تنشر أشكال الحبوس بشكل مكثف حول زاوية سي لعربي حيث يسجل 10 منها ممثلة في "سيدي عبد الله وسيدي عمار وسيدي زغنون وسيدي عبد القادر بن يحي وسيدي بوخاتم وسيدي الحاج لعربي وسيدي عبد القادر وسيدي عبد

الرحمان وسيدي بوعبد الله وسيدي بودومة. وتترجع على مساحة 5 هكتار إلى جانب المقابر المقدرة بمساحة تفوق 10 هكتار و65 أرو و50 سنتيار<sup>34</sup>. "وبعرش أولاد العباس حيث أعلنت جماعة الدوار خلال عمليات التحديد والتوزيع التي تمت سنة 1867 م أنه يقارب 1.350 هكتار ببلاد سيدي عمار<sup>35</sup>.

تعود منفعة الأوقاف تلك على المصلحة العامة وهذا وفقا للشريعة الإسلامية خدمة للدين والعلم وصالح المجتمع والرغبة في الخلود والحفاظ على السيرة الحسنة، " ولعل الذي ضمن الحد الأدنى من عناية الدولة للوقف هو اعتباره بمثابة وزارة الثقافة والتعليم والدين والشؤون الاجتماعية مجتمعة"<sup>36</sup> وعادة ما كانت تجس الأملك لإحدى المؤسسات الدينية حفاظا على الأملك ووضعها في مأم من تعسف الحكام الأتراك، ومن ذلك تأسيس ما يسمى "حبوس المغراوي" في جانفي 1552م بجميع ممتلكاته للشيخ سيدي معمر بن عالية وذريته بعرش أولاد خويدم<sup>37</sup>.

فكانت هذه الأوقاف أساس التضامن وتلاحم المجتمع، توزع مداخله على الفقراء والمعوزين كما شكلت مصدر رزق للزوايا والمقيمين على الأضرحة وغيرها من المؤسسات الثقافية كزاوية سي الشادلي بني مسلم<sup>38</sup>. ونقلا عن أحفاد عائلي الشادلي والحسني فإن الزاوية أسست ببوحايك أولاد رياح - بلدية الحاسي عمي موسى - منذ زمن بعيد على يد الحاج محمد الشادلي وبعد وفاته خلفه ابنه الشارف ثم تولى شؤونها الخضير بن الحاج محمد وهو عالم، وكان الشادلي الحاج بن عبد الله وحسني الحاج الصادق، يمونان الزاوية التي تستقبل الأتباع والزوار ويقصدها الطلبة من النواحي المجاورة والبعيدة<sup>39</sup>؛ إلى جانب زاوية سيدي بن شاعة ببني زروال بمنطقة الظهرة وزاوية سيدي

امحمد بن عودة التي تحوز على 2.000 هكتار بأراضي "مينا". وهناك حبوس أولاد سيدي بوعمران بدواير "فليتة" والذي استغلت أراضيه من طرف عرش الحساسنة<sup>40</sup>.

وحسب تقرير السيناتيسكونسيلت (Senatus-Consulte) فأملأك الحبوس العائلي بعرش أولاد بوعلي تقدر بمجموع 4.600 هكتار منها حبوس أولاد سيدي أحمد بن قدار في المنطقة الشمالية والممتد الى غاية عرش الحساسنة والذي تقدر بـ 3.200 هكتار تعرف بحبوس أولاد سيدي بن قدار في المنطقة الشمالية والممتدة من ذلك. وتذكر التقارير الفرنسية خلال الفترة الكولونيالية التي رافقت عملية السيناتيسكونسيلت أن هذا الحبوس تم انشاؤه لصالح العائلة من طرف الباي محمد الكبير إلى جانب حبوس سيدي بوعمران (بمساحة 500 هكتار)، وحبوس سيدي أحمد بن يوسف الواقع بين مينا وواد المالح (بمساحة 900 هكتار) أسس لصالح الأحفاد نسبة إلى المرابط سيدي أحمد بن يوسف بمدينة مليانة<sup>41</sup>.

#### الخلاصة

ما يمكن الخروج به في هذا العرض أن انتهاج السياسة العقارية مع تدخل السلطة المركزية خلال الفترة العثمانية، فإن ملكية الأرض في الجزائر حافظت على طابعها المستمد من الشريعة الإسلامية إذ استمر انتشار طابع الملكية الجماعية بشكل كبير، كما حافظت على طابعها بالمنطقة -موضوع الدراسة- حيث استمر انتشار الأراضي الموقوفة والتي توسعت انطلاقا من احترام العثمانيين للطرق الصوفية بالجزائر فأحاطوها بالدعاية والاحترام ورفعوا من شأنها في نظر العامة، في ظل ظروف اقتصادية واجتماعية وصفت بالمتأزمة؛ منها تأثير تلك الهجمات الصليبية على سواحل الجزائر حيث وظف أثناءها

العثمانيون عامل العاطفة الدينية لتثبيت سلطتهم. وانطلاقا من ذلك عمل النظام على الحفاظ على أملاك بعض الزوايا والتي كان لبعضها دور في دعم سلطة الأتراك العثمانيون بالمنطقة فأقدموا على الإسهام في بنائها وإصلاح هياكلها إرضاء للمرابطين والتقرب منهم اعتقادا منهم أنها تمثل ملتقى للعلم ونشر الأخلاق والتحريض على الجهاد. وعليه فإثقا نسجل في الأخير انحصار ملكية الأراضي بيد الجزائريين في الغالب فيما عدا الإجراءات المميزة والمرتبطة بالعقار والتي أتت دعما للسلطة التركية بالجزائر.

### الهوامش

-قبيلة : هي تجمع بشري يجمعها الاستقرار المكاني وعاطفة الجماعة والمصالح المشتركة، تشكل اطار اجتماعي وسياسي . وحسب الباحث الهواري عدي فإنها " لا تتشكل من أشخاص ينحدرون بالضرورة من جد مشترك أعطى اسمه لهذه القبيلة،.إفما مجموع مكون من مجموعات عائلية أو مجموعات نسبية ملفقة، مجموع يمتص الفرد وإخضاعه إلى ضرورات أخلاقية ودينية، بتدوينه في بنية تراتبية لا تعرف شكلا محددا، وتؤمن له في المقابل ضمانه بالتضامن والتماثل الاجتماعي بنسبة أرقى بما تؤمنه العائلة الموسعة ... ولكن السمة الاساسية في هذا التنظيم الاجتماعي ليست لا القبيلة ولا الحياة الرعوية بل هو النظام العقاري الخاص ". أنظر

عدي الهواري، الاستعمار الفرنسي وسياسة التفكك الاقتصادي والاجتماعي 1830-1962، ت: جوزيف عبد الله ، ط01، دار الحداثة، بيروت، ، ص 18 و19.

2-المخزن: في الأصل كلمة استعملت لخصن البضائع والمؤن، ثم صارت هذه الكلمة تطلق للدلالة على القوة التي يستعملها الداي لفرض سلطانه، وتتألف من الميليشيا التركية ومن بعض افراد قبائل العرب والبربر. طالع الأشرف (مصطفى): الجزائر الأمة والمجتمع، الجزائر، 1983، ص 81.

03-HAMET, (Ismaël ), Les Musulmans français du nord de l'Afrique, A.colin, Paris ,1906. p 37.

04- يذكرليون الأفريقي أن ما زونة : "مدينة أزيلية بناها الرومان – حسب قول بعضهم – على نحو 40 ميلا من البحر، تمتد على مساحة شاسعة وتحيط بها أسوار متينة ... وفيها جامع وبعض مساجد أخرى تقع على الضفة اليسرى لواد واريغان وترتفع على ثلاث ربوات هرمية الشكل تعلوها قبب ومساجد وثلاث مآذن . لقد كانت مدينة متحضرة جدا في القديم لكنها كثيرا ما تعرضت للتخريب من قبل ملوك تونس تارة ومن قبل الثوار تارة أخرى وبالتالي من الأعراب حتى أصبحت اليوم قليلة السكان، وهم نساجون أو فلاحون وجميعهم تقريبا فقراء، لأن الأعراب يثقلون كواهلهم بالإتاوات والأراضي المزروعة جيدة تعطي غلة حسنة". الحسن بن محمد الوزاني الفاسي، المعروف بليون الأفريقي، وصف افريقيا – ترجمة محمد حيي ومحمد الاخضر 1982، ط2، ص 36.

05-Rinn, louis :Le royaume d'Alger sous le dernier bey, Revue Africain, 1897,Alger. p :07.

06- Tableau de la situation des établissements français dans l'Algérie 1847, 1851, Paris, p : 79.

07-Ibid, p : 13

08- Ibid, p: 07.

09-Ibid, p :13

10-الحرارة: 04 كلم عن زمورة نسبة الى سيدي حراث بن عيسى وهو من المرابطين ورد نسبهم كالتالي: "سيدي محمد ابن عيسى بن محمد بن ابراهيم بن ابي القاسم بن الحسين بن داوود ابن علي بن محمد بم موسى بن عبد الله بن احمد بن يحيى بن ادريس الاصغر بن ادريس الاكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسين السبط ابن فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم سكن القصيبة بناحية زمورة واشتهر العرش باسمه لأجل كما يقال كرمه الحرث والعين وذلك أنه لما قدم من فاس إلى زمورة وجد خماسا يقال له مصباح يحرق على ثورين فطلب من الشيخ شيئا من الماء ليشرّب ويتوضأ فقال له الخماس ليس في هذه الأرض ماء فقال له الشيخ ومن أين تشربون ومن أين = يشرب الثيران فقال له من مناء وهو مكان بعيد فنأوله الشيخ عكازا كان عنده وقال له اضرب به الحجر ثلاث ضربات فضرب ضربة واحدة فانفجر من الحجر ماء فدهش الخماس ولم يزد على تلك الضربة فاغترق من الماء ورجع مسرورا فوجد الثرين يحرقان وحدهما والزرع ينبت خلفهما فقال له الخماس أنت حراث قيل هذا سبب تسميته حراثا والله أعلم ."

الجيلاني، بن عبد الحكيم اليحياوي العطافي، كتاب المرأة الجلية في ضبط ما تفرق من أولاد سيدي يحيى بن صفية وفي التعريف بمشاهير العلماء ورجال المعاهد الصوفية، الطبعة الأولى، تلمسان (الجزائر)، 1953، ص 366.

11-Tableau de la situation des établissements français dans l'Algérie , 1847 , p : 284.

12-بني زروال : تنتشر مواطنها بالقرب من الظهرة تشغل إقليم واسع من السهول الخصبة والحدود الجبلية الجرداء إلى جانب الغابات والتلال، فجبل بني زروال المتوازي مع البحر على الجانب الشرقي وبالشلف بالجانب الجنوبي، وباتجاه الشمال يندمج مع جبل مديونة وفي الغرب تستمر السلسلة الجبلية التي تبدأ من مستغانم وتمتد إلى غاية المدية، تفتقر بلادهم إلى المياه مما يخلق صعوبات في التكيف مع التربة ... وهم مقسمون إلى 06 قبائل رئيسة : بني زروال أنفسهم، أولاد الحضري، أولاد علي، أولاد بوتكورة، أولاد مزبان، أولاد سيدي إبراهيم وهم من الأولياء . طالع لويس رين، نفس المصدر أعلاه، ص 69.

13-أولاد سيدي بوعبد الله : نسبة إلى الوالي الصالح سيدي بوعبد الله المغوفل الحسيني المشيخي 828هـ- 923 هـ . وحسب شجرة النسب المتواجدة بالزاوية هو محمد أبو عبد الله بن محمد بن واضح ابن عثمان بن الحاج عيسى بن محمد الملقب فكرون أو فكرين لكثرة عباداته في الماء حتى انفلق جلده كجلفة الفكرون . بن القاسم بن عبد الكريم بم محمد بن عبد الله بن احمد بن عبد الواحد بن محمد بن عبد السلام بن أمشيش بن أبي بكر بن أبو رياح بن عيسى بن أبو القاسم بن مزوار بن حيدر بن علي بن محمد بن عبد الله بن احمد بن إدريس الأصغر بم إدريس الأكبر بن عبد الكامل بن محمد بن الحسين بن فاطمة الزهراء بنت محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من علي بن أبي طالب وفاطمة بنت محمد عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبدنان.

المولود سنة ثمان مائة وعشرين وثمانمائة وتوفي يوم الخميس 02 محرم سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة ودفن على حافة واد شلف قرب واديهو ويعرف بصاحب القبرين أو القبتين وذكر أبو ناصر الناصري أنه كان ممن أكلته العبادة وأنحلته الزهادة . عايش العثمانيون وهذا ما يشير إليه أبو القاسم سعد الله: "حاول العثمانيون الاستفادة من نفوذه الروحي في أول عهدهم ... وتذكر المصادر أن ابن المغوفل وقد ظهر أمره وهو ما يزال في تونس

وأن المشيخة قد أعطيت له هناك، تم جاء منطقة الشلف ونزل بومليل حيث ظل يتعبد، ثم انتقل إلى ندالية .. وكان لابن المغوفل ستة أولاد، اثنان منهم قدرافقا الحملة العثمانية على تلمسان .

المرجع : أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ج 01، ص 471. ولقد أسس زاوية بناحية الشلف مهمتها تدريس القرآن الكريم على القراءات السبع فاشتهر أمره وانتشرت كراماته .

أولاده من محجوبة بن يوسف بنت الباي بن عمر باي التيطري وهي الأولى والكبرى أنجب سيدي أمحمد أفغول من أحفاده سيدي عابد او زين العابدين المكئي بابي عبادة صاحب المرجة تتلمذ على يد جده سيدي بوعبد الله بعد وفاة والده . طالع حشلاف سيدي علي:

Les Chorfa les nobles du monde Musulman, la chaine des origines à propos de la généalogie des descendants du prophète, 1995, Alger, p,52.

وسيدي عمار وسيدي يحي أو يحي العزل لاه عزل إلى بلاد الترك ومريم البسناسية وسميت على والدته الوالي الصالح. وأولاده من خديجة بنت الميمون بن أبي بكرهم : غلام الله ومحمد الخياطي وهو المتوطن بقبيلة صبيح بتافلوت وأولاده متفرقين بناحية صبيح وفي غيرهم من جهات اولاد فارس إلى جانب محمد بن عطية الله ومن ذرية هذا الأخير سيدي العربي أما عن أولاده اللذان رافقا الحملة العثمانية فهما سيدي أفغول وسيدي عمار. ظهرت على يده العديد من الكرامات اشتهر عنه قصيدة مدحه للرسول صلى الله عليه وسلم فيها سبعون بيتا وليس فيها حرف يستحق النقط بل كلها عواطل من النقط من مؤلفاته " فلك الكواكب وسلم الرقيا إلى المراتب" يتناول فيه حياة التصوف والمتصوفين، تحدث فيه عن نسب ومواطن أولياء وصلحاء الشلف وومن سكنوا البطحاء من القرن 6 و9 هـ " سجل في هذه الأرجوزة ما وسعته ذاكرته أو أخبره به الناس ووجده في بعض المصادر عن حياة صلحاء الشلف ."

أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ج 01 ص 124.

فكان حسب أبو راس الناصري أحد أعجوبات الدهر في علمه وورعه وكراماته. من ذريته أيضا الشيخ سيدي بوزيان البوعبدلي وزاويته المتواجدة بسيدي خطاب بغليزان . ويسكن عرش أولاد سيدي بوعبد الله الضفة اليمنى لشلف بالقرب من القبة المعروف باسمها وعند السفح الذي تتدفق منه المياه الحارة .

14-Rinn, ( L),Ibid, p,117

15- عابد ،(سلطانة): التراتبية الاجتماعية بباليك الغرب وأثرها على مقاومة الأمير عبد القادر 1832-1847. رسالة دكتوراة جامعة وهران ،2010، ص :61

16-زاوية سيدي أمحمد بن عودة : حسب شجرة النسب المتواجدة بالزاوية هو سيدي أمحمد بن يحي بن عبد العزيز ابن علي بن يحي بن راشد ابن علي بن يحي بن راشد ابن فرقان بن الحسين بن سليمان بن بوبكر ابن مؤمن بن محمد ابن مؤمن بن محمد بن عبد القوي بن عبد الرحمان بن إدريس بن موسى ابن إسماعيل أن الإمام موسى الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام علي زين العابدين ابن الإمام حسين ابن الإمام علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه وابن السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم . أحد أعلام غليزان ولد في رجب 972 هـ بنواحي واد مينا المكث بين عودة نسبة إلى مربيته عودة بنت سيدي أمحمد بن علي المجاجي صاحب زاوية مجاجة بتنسابنة العلامة سيدي امحمد بن علي المجاجي . لقب بمهدي زمانه تلقى العلم بمسقط رأسه ثم أرسله والده الشيخ سيدي الصغير إلى تلقي العلم على يد علماء عصره، تم عاد إلى مينا فأسس زاويته المتكونة من خيمتين واحدة لتدريس القرآن وعلومه والثانية لإيواء المساكين وواطعام عابري السبيل. توفي سنة 1034 هـ وتقديرا لشانه وثناء لعلمه أمر الباي محمد الكبير ببناء

قبة سيدي محمد بن عودة على ضريحه موصيا بحرمة المقام وعدم التعرض لمن لجأ إليه نظير مشاركته في الجهاد ضد الأسبانيمزگران وتنس وتحرير المرسى الكبير. طالع بتوسع:

Dermenchem, (Emil) : Un grand th'am des Flittas Sidi mhammed Ben Aouda le maitre des lions Algeriens , 1931, pp, 23,24.

17-Rinn ,(L) , Ibid ,p :117.

18-Hamet, (Ismaël ), Ibid , p : 10

19-العقار: الشيء الثابت المستقر في مكانه غير القابل للنقل منه إلى مكان آخر بدون تلف يشمل الأرض، المباني، والنباتات المتأصلة في الأرض وتصنف إلى الأملاك العامة والخاصة والأملاك الوقفية . حمدي باشا عمر: نقل الملكة العقارية، ط1، دار هومة، الجزائر، 2000، ص: 14-15.

20- أولاد سي لعربي : تقع الزاوية على الضفة اليسرى على بعد 04 أميال عن الشلف على طريق مازونة مستغانم، بنيت بنوع من الترف والرخاء تحيط بها الحدائق الواسعة، وتحتوي من 130 إلى 140 خيمة، وقد أقام سي لعربي معبري ضمن المواصلات من ضفة إلى أخرى خلال كل السنة قارن:

Tableau de la situation des établissements français dans l'Algérie 1847 , p :284 .

ابراهيم،(مهديد): القطاع الوهراني ما بين 1850-1919 دراسة حول المجتمع الجزائري، الثقافة والهوية الوطنية، منشورات دار الأديب ص:47.

21-Yacono , (Xavier) : La Colonisation des plaines du Chélif,1955 , Tome 2 , p, 316

22-Archives Nationales d'Outre-Mer, à Aix en Provence , France (A.N.O.M),Boite Algérie , Oran , Dossier Ouled sidi Bou Abdellah , 2N carton 94, 31/01/1868, N,512.

23-سلطانة، (عابد): نفس المرجع، ص. 75.

24- نفس المرجع المذكور، ص. 75.

25-A.N.O.M: ALG, ORAN ,DouairFlittas ,Douar Commune mixte de la Mina ,Séance du 11 Novembre 1868, carton 2N43 .

26- سلطانة،(عابد): نفس المرجع، ص:50.

27-دادة، (محمد): السياسة الاستيطانية الفرنسية في الجزائر 1852/1870، رسالة دكتوراة، جامعة وهران 2002، ص. 67.

28.A.N.O.M : ALG. ORAN, Ouled Sid Bou-Abdallah , Reconnaissances Domaniales, 2N 94. 3 Mai 1867, N, 2646.

29-دادة،(محمد): نفس المرجع، ص68.

30-أولاد خويدم: تحتل المنطقة الجبلية التي ترتفع بين واديهو وجديوية، والممتدة جنوبا الى غاية بني مسلم على الضفة اليسرى لشلف بين منخفضي واديهو وجديوية، تتكون من أصول مختلفة خضعت لحكم مغاوة التي حكمت منخفض الشلف حسب لجنة السيناتيسكونسيلت 1867 بلغت مساحة أراضيهم 25.643 هكتار تبعد عن مستغانم ب 105 كلم، وعن غليزان ب 24 كلم وعن عبي موسى ب 24 كلم، يعبر الإقليم طريق الجزائر وهران، والسكة الحديدية، إقليم خصب تنتشر فيه زراعة الحبوب قدرت اللجنة عدد سكانه ب 4.493 من أصول مختلفة مقسم إلى 06 مجموعات : أولاد الأحول، أولاد سيدي عبد القادر، الحطاطبة، أولاد سيدي معمر، أولاد سيدي بوعبد الله ....، طالع أرشيف ما وراء البحار بأكسبروفانس:

A.N.O.M : ALG. Oran ,Ouledkhoudem , 2N , carton 87.

31-A.N.O.M : ALG. ORAN,Ouledkhoudem , 2N , carton 87.

32-Thintoin, (Robert), Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie de la Province d'Oran la plaine de Relizane avant l'irrigation, 1950, p,p : 7- 8.

33-Thintoin, (Robert), Ibid, p ,09

34-A.N.O.M, ALG. ORAN, 2N ,OuledSidiBouAbdallah , carton94.

35-A.N.O.M ,ibid.Carton94.

36-المغيلي،(محمد البشير): التكوين الاقتصادي للوقف الجزائري ودوره في مقاومة الاحتلال الفرنسي، مجلة المصادرالمركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 01 نوفمبر1954، عدد مارس 2002، ص 163.

37-A.N.O.M : ALG. ORAN,2N ,Ouledkhoudem , 2N , carton 87.

38-سيدي الشادلي : تقلد رتبة الاغا في فترة الأمير عبد القادر من أغاليك بني مسلم ينحدر من عائلية مرابطية أصولها ترجع إلى سيدي يونس وسيدي علي حسب الرواية الشفوية بثته الأمير عبد القادر – بمنصور- كأغا لبني مسلم كما شاركوا في انتفاضة بومعزة إلى أن استسلم للفرنسيين سنة 1847. يرجع: إلى عابد، سلطنة، التراتبية الاجتماعية ببايلك الغرب وأثرها على مقاومة الامير عبد القادر 1832/1847، ص 144 .

39- لحسن (محمد):عين طارق من ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تاريخ مختصر(الشكالة، مكناسة، ماريوة)، دار أم الكتاب، مستغانم، 2012، ص ص7-38

40-الأرشيف المحلي لبلدية المطمر 09-11-1878.(ولاية غليزان).

41-الأرشيف المحلي للمطمر. 28-01-1878.(ولاية غليزان).